ثلاث أولويات حقيقية أمام القوى الوطنية والإسلامية اليوم

هل صحيح أن الإجابة الصحيحة على سؤال: ما العمل؟ تتمثل في إقامة سلطة وحدة وطنية؟ أو في إشاعة الديمقراطية؟ أو في التوقف عن إجراء المفاوضات؟ يخيل للمرء أحيانا أن بعض الصيغ التي لقيت من قبل موافقة عامة وشاعت في المحافل السياسية، قد تخطاها الزمن اليوم. وأننا دخلنا مرحلة طوارئ سياسية وعسكرية معا، تحتاج إلى إجابة جديدة تحقق هدفين: الأول ترتيب أمور التشكيلات التنظيمية في الأطر الميدانية متناهية الصغر، لا في المدن والقرى وحسب، ولكن في الحارات بل والأزقة، لمواجهة المغامرة التي يبدو أن شارون ورئيس أركانه موفاز مصممان عليها: مغامرة اجتياح مناطق (أ) إذا لم تذعن القيادة الفلسطينية للإملاءات السياسية الإسرائيلية. ففي حالة الاقتحام الذي يقال إن العدة أعدت له، يجب أن يلقى موفاز دفاعا مستميتا من الجانب الفلسطيني. وفي حالة قرار الاحتلال بالمكوث في المناطق يجب أن يكون سيناريو امتصاص الضربة مهما كانت قاسية جاهزا لشن عمليات المقاومة في أسرع وقت. أما الهدف الثاني فهو إيجاد مطبخ سياسي من شخصيات سياسية متمرسة بالوضع، معدودة على الأصابع (ليس من الضروري في هذه المرحلة أن تأتي من خلال وزارة أو تعديل وزاري جديد). ومهمة هذه المجموعة من الشخصيات أن تتخذ القرارات السياسية اللازمة، دون مزايدات صحفية، حسب تطور الأحوال الوهذا كله مع موافقتنا ومباركتنا وهز رؤوسنا استحسانا للمطالب والشعارات التي يرفعها الرفاق هذه الأيام. ولكن لكل برهة نظام أولويات. ونحن نلاحظ أن الأمور التي يدلنا المنطق، كما تدلنا التجارب الفلسطينية السابقة (في قطاع غزة والضفة الغربية بعد عام ١٩٦٧ مثلا) أنها ذات الأولوية التي نتحدث عنها، غير واردة في حديثهم.

ونحن بحاجة أيضا إلى قيام رجال ارتباط من الفصائل الفلسطينية في الداخل بالتوجه إلى الخارج بغرض مهمة محددة هي تسخين درجة حرارة إخوانهم ورفاقهم في الأقطار العربية المجاورة، للضغط من أجل موقف رسمي أفضل وموقف شعبي أكثر اندماجا في الصراع، لكي يكون هناك تناغم وانسجام بين حركة المناضلين في الداخل وفي الخارج. لأن وحدة المعركة يجب أن تملي وحدة النضال.

يمكن للطاقات التنظيمية أن تبلي بلاء حسنا في إعداد العدة في القواطع والمحاور المختلفة. وأن تدرس على نحو جدي وعلمي، وعلى ضوء التجربة مع قوات الاحتلال سابقا، أية خطط هي الأفضل، وأية تجهيزات هي الألزم. فإسرائيل التي هي قوة عسكرية كبرى لا تنفك عن عمل المناورات العسكرية والتمارين المختلفة. وكثيرا ما تتحدث الإذاعة الإسرائيلية عن قيام الجيش بالتمارين، وتنبه الجمهور إلى توقع سماع أصوات انفجارات في نطاق هذه التمارين، على الرغم من الإمكانيات الهائلة والبنيان العسكري المؤسس منذ القديم. أفلا نحتاج نحن إلى تمارين مستمرة لتنسيق الدفاع عن أنفسنا في حالة العدوان؟

أعتقد أن الكوادر التنظيمية، لا رجال الأجهزة وحدهم، يجب أن يستشعروا أهمية حمل مسؤوليات دفاعية في المحاور المنتظرة لتقدم قوات الاحتلال. وأعتقد أن على الجميع في اللحظة الحاضرة أن يتراصوا وراء السلطة الوطنية. وأعرف أن بعض الذين يأخذون على السلطة مآخذ حقة سيقولون: إن ذلك يعطي السلطة القائمة قوة إضافية في حين أن العديد من ممارساتها يحتاج إلى تصحيح. فليكن. فإننا إذا أقمنا في أسوأ

الأحوال موازنة بين المزية التي توفرها وحدة الجهود الداخلية وبين الضرر الناجم عن تزويد المخطئين بقوة إضافية لرجحنا المزية على الضرر، لأن السلطة مهما يكن أمرها فهي سلطة وطنية لم تستسلم للاحتلال ولا لإرادته.

إننا نكابد وقتا يزايد فيه رجال السياسة في دولة الاحتلال، بعضهم على بعض في إبداء الشهوة لقتل الفلسطينيين والعرب والمسلمين، ويتنافس فيه شارون أبو المذابح مع نتنياهو الراغب في تكرار تجربة الصرب مع البوسنيين هنا في فلسطين، ومع رحبعام زئيفي المنادي بالترانسفير، ومع الوزير اليهودي الروسي الذي يريد قصف السد العالي بالقنبلة الذرية.

وفي هذا الوقت لا يجوز أن يكون هناك غموض في الشيء الذي ينبغي عمله. وإذا كان بعض الناس يدفعون بأن الولايات المتحدة لن تترك الأمور تصل إلى تلك المرحلة التي نتحدث عنها، فإن تصريح نائب الرئيس الأمريكي بإباحة الدم الفلسطيني وبإجازة الجريمة البشعة لم يترك مجالا لاستبعاد أي شيء على الإدارة الجمهورية في أمريكا. إنهم والغون في دمنا كما هم والغون في بترولنا. ولو استطاعوا أن يعصروا أطفالنا ويأخذوا من دمائهم بترولا ما ترددوا، لأن حضارتهم هي حضارة الجريمة والعنف دون حدود.

لقطات الأسبوع

- **نسرين زنداح بلبلة من حارة الزيتون بغزة، تحمل الجنسية الألمانية، وتصدح باسم فلسطين في كل مكان، استطاعت أن تحصل على الجائزة الذهبية في مهرجان أوسكار الفيديو كليب في الاسكندرية هذا الصيف عن أغنيتها أنا بنت فلسطين. وهي من كلمات وألحان مهدي سردانة. وهكذا أعادت إلى الذهن قصيدة هارون هاشم رشيد ومطلعها: يا دارنا في حارة الزيتون يا ملتقى الكنار بالحسون.**
- **جلسة واحدة مدتها أربعون دقيقة في مكتب رياض الحسن بهيئة الاستعلامات بغزة كانت كافية لتكوين الانطباع عن المكان وعن العاملين فيه: لا وقتا ضائعا. لا تسيبا في النظام. لا تخلفا عن العصر. لا عجزا عن اللحاق بتكنولوجيا الحاسوب. لا كهانة موظفين في إخفاء المعلومات تحكما دون مبرر. والسؤال الذي خطر على البال: لماذا لا تكون وزاراتنا ومؤسساتنا وإداراتنا كلها مسايرة للمستويات الإدارية السائدة في العالم؟ أنحن أمام مشكلة في إنساننا؟ أم في إدارتنا؟ أم في تربيتنا؟ أم في ضمير الكبار فينا؟!**